الرِّسَـالة ١٢١

يُــوجَدُ مكــانٌ

(Arabic – Still there is room)

أحبّائى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوضُوعُهُ: يُــوجَدُ مكــانٌ

ومِنْ إنجيل لوقا الأصْحَاح الرّابع عَشَر نقرَأ العَدَدَيْن الثانِى والعِشْرِينَ والثالثَ والعِشْرِينَ:

"فقالَ الخَادِمُ لصَاحِب الوليمَةِ: يَا سَيّدُ. قدْ صَارَ كمَا أمَرتَ. ويُوجَدُ أيْضاً مكانٌ. فأجَابَهُ السّيدُ: أخْرُجْ إلى الطرُق والسّيَاجَاتِ. وألزمْهُمْ بالدُخُول!. حتى يَمتلئَ بَيْتِى".[١]

لا يَجُوزُ الخَوْضُ فى حَديثٍ مَا دُونَ البَدْء بتعْرِيفِ المُستمِع أوْ القارئ بمَاهيّةِ المَوْضُوع. وإنْ جَازَ الدّخُولُ إلى حَديثٍ دُونَ مُقدّمَاتٍ. فلا يَجُوزُ ذلكَ إذا تحَدثنَا عَنْ ملكوتِ اللهِ. ونَحْنُ بصَدَدِ الحَديثِ عَنْ المَثَل الذِى ضَرَبَهُ السّيّدُ المَسيحُ. والذِى قصَدَ بهِ توْضيح مِقدَار رَحَابَةِ بَيْتِ الآبِ السّمَاوِىّ واتسَاعِهِ لاستقبَال العَديدِ الذِى لا يتخيلُ الإنسَانُ رَوْعَتَهُ. واتسَاعُ قلبِ الآبِ السّمَاوِىّ للترْحيبِ بالذينَ يَدْخلونَ فى ملكوتِهِ. بغَضّ النَظر عَنْ رَأيِنَا نَحْنُ فِى عَدَم استِحقاقهمْ الشّخْصِىّ للدُخُول فى ملكوتِ الله. ولقد أعَدّهُ الآبُ السّمَاوِىّ خَصيصاً لأحبّائِهِ وأتقيَائِهِ.. وليْسَ مِنْ تعبير يَصلحُ أنْ نَستخدِمَهُ لوَصْفِ ملكوتِ اللهِ غَيْرَ مَا جَاءَ برسَالةِ بُولس الرّسُول الأولى إلى مُؤمِنِى كورُنثوس التِى يَقولُ فيهَا: مَا لمْ ترَ عَيْنٌ. ولمْ تسْمَعْ أذنٌ. ولمْ يَخطرْ على بَال إنسَان. مَا أعَدّهُ اللهُ للذينَ يُحبّونَهُ!.[٢]

لقدْ شَبّهَ الرّبّ يَسُوعُ ملكوتَ اللهِ بوليمَةِ عَشَاءٍ عَظيم. دَعَا صَاحِبُ الوَليمَةِ إليْهَا خَاصّتَهُ. وقبَيلَ حُلولُ سَاعَةِ العَشَاء أرْسلَ خَادِمَهُ ليقولَ للمَدْعُوين: "تعَالوْا لأنّ كلّ شَىْءٍ قدْ أعِدّ". ولكنّهُمْ ابتدَأوا يُقدّمُونَ أعْذاراً: أحَدُهُمْ اشترَى حقلاً وهُو مُضْطرٌ أنْ يَخْرُجَ لينظرَهُ وسَألَ إعْفاءَهُ مِنَ الحُضُور. وآخَرُ اشترَى خَمْسَةَ أزْوَاج بقر وهُو مَاضٍ ليَمْتَحِنهَا وسَألَ إعْفاءَهُ أيْضاً. وثالثٌ تزَوّجَ بامْرَأةٍ وصَرّحَ بأنّهُ لا يقدِر أنْ يَأتِى. رَجَعَ الخَادِمُ وأخْبَرَ ربّ البَيْتِ. فغَضِبَ وقالَ لخَادِمِهِ: "أخْرُجْ عَاجلاً إلى شَوَارِع المَدينَةِ وأزقتهَا. وأدْخِلْ إلى هُنَا المَسَاكينَ والجُدْعَ والعُرْجَ والعُمْىَ". أتم الخادم المهمة المكلف بها وحين عاد قال لسيده: "يَا سَيّدُ. قدْ صَارَ كمَا أمَرتَ. ويُوجَدُ أيْضاً مكانٌ".[٣]

بكلّ تأكيدٍ تثيرُ دَهشتَنَا إجَابَة صَاحِبِ الوليمَةِ لخَادِمِهِ بالقول: "أخْرُجْ إلى الطرُق والسّيَاجَاتِ. وألزمْهُمْ بالدُخُول! حتى يَمتلئَ بَيْتِى". ثمّ تصريحُهُ مُعَقباً: ""لأنّى أقولُ لكمْ: إنّهُ ليْسَ وَاحِدٌ مِنْ أولئكَ الرّجَال المَدْعُوّينَ يَذوقُ عَشَائِى!". وَحينَ نتأملُ المَثَلَ الذِى ضَرَبَهُ السّيدُ المَسيحُ ليُوضّحَ مَاهيّةِ ملكوتِ السّمَوَاتِ نلاحِظ أمُوراً ثلاثة:

أوّلاً: إنّ تدْبيرَاتِ ذلكَ العَشَاء العَظيم كانَتْ بدَافع مَحبّةٍ عَظيمَةٍ.. لقدْ ضَرَبَ السّيدُ ذلكَ المثَلَ إجَابَة على سُؤال يَختصّ بملكوتِ اللهِ فى بَيْتِ أحَدِ الفريسيّينَ دَعَاهُ للعَشَاءِ. وكانَ السّؤالُ مُوَجّهاً لهُ مِنْ أحَدِ المَدْعُوين. وأرَادَ الرّبّ يَسُوعُ أنْ يُوضّحَ لليهودِ أنّهُ مُرْسلٌ لإظهَار مَحَبّة الآبِ الذِى يُوَجّهُ الدّعْوةَ المَجّانيّة للشّعْبِ اليَهُودِىّ للدُخُول إلى مَلكوتِهِ. ولقدْ كلفتْ تلكَ الدّعْوَة الآبَ السّمَاوِىّ دَمَ الابن الوَحيدِ. ولمْ تكلفْ هذا الشّعْبَ إلا أنْ يكفّ عَنْ عِنَادِهِ وتصلفِهِ ليقبلَ دُخولَ ملكوتَ اللهِ. كانَ المَدْعُوّونَ لديْهِمْ الفرْصَةَ الكافيَةَ ليتدَبّرُوا أمُورَهُم. وليَستمْتِعُوا بمَا أعِدّ لهُمْ ولكنّهُمْ لمْ ينَالوا مَا كانَ مُعَداً لهُمْ. لقدْ جَاءَ بإنجيل يُوحنا الأصْحَاح الأوّل: "إلى خَاصّتِهِ جَاءَ وخَاصّتهُ لمْ تقبلهُ".[٤]

يُوضّحُ ذلكَ المثَلُ الذِى ضَرَبَهُ الرّبّ يَسُوعُ أنّ تهَاونَ المَدعُوّينَ فى تلبيةِ الدّعْوَةِ. لمْ يُعَطلْ صَاحِبَ الوليمَةِ مِنَ الاحتفال الذى أعَدّهُ. وأنّ اللهَ لِمَحبّتِهِ التِى لا يُعَبّرُ عنْهَا. يُرْسِلُ خُدّامَهُ إلى مَشَارق الأرْض ومَغَاربهَا ليُقدّمُوا دّعْوَةَ المَحبّةِ للجَميع بلا استثنَاء نَاصِحاً كلّ خَادِم: "ألزمْهُمْ بالدُخُول. حتى يَمتلئَ بَيْتِى". ولقدْ وَعَدَ الرّبّ

[١] إنجيل لوقا ١٤: ٢٢ – ٢٣ ، استمع إلى الإنجيل
[٢] رسَالة بُولس الرّسُول الأولى إلى مُؤمِنى كورُنثوس ٢: ٩
[٣] إنجيل لوقا ١٤: ١٥ – ٢٤
[٤] إنجيل يُوحنا ١: ١١

يَسُوعُ تلاميذهُ قائلاً: "أنَا أمْضِي لأعِدّ لكمْ مكاناً وإنْ مَضَيْتُ وأعْدَدْتُ لكمْ مكاناً آتِي أيضاً وآخذكمْ إليّ حتى حيْثُ أكونُ أنَا تكونونَ أنتمْ أيضاً". إنّهُ وَعْدٌ ثمينٌ مُؤكدٌ لكلّ مُؤمِن كرّسَ حياتهُ للعَمل فى كرْم الآبِ السّمَاوىّ.[1]

ثانياً: كانتْ اعتذارَاتُ المَدْعُوّينَ الأوّلينَ غَيْرَ حكيمَةٍ!.. لمْ يقولوهَا صَريحَة أنّهُم غَيْرُ رَاغبينَ فى تلبيةِ الدّعْوةِ. ولكنهُمْ ابتدأوا جَميعاً برأى وَاحِدٍ يستعفونَ. كانَ المُتوقعُ أنّهُمْ جَميعاً برأى واحِدٍ يُلبّونَ مُسْرعينَ. فمَنْ اشترَى حَقلاً كانَ مُمكِناً لهُ أنْ يُرْجئَ مُعَاينتهُ ليَوْم تالٍ. ومَنْ اشترَى بَقراً كانَ مُمكِناً لهُ أنْ يَختبرَ صَلاحيّة البقر فى وقتٍ لاحِق وليْسَ وَقتَ العَشاء. ومَنْ تزوّجَ بامْرَأة واعتذرَ بهَا عَن الحُضُور إلى الوَليمَةِ كانَ مُمْكِناً لهُ أنْ يَصْطحِبُهَا مَعَهُ. فالعَشَاءُ يلزَمُهَا كمَا يلزَمُهُ. والزّوْجَة لا تقفُ حَائلاً دُونَ إتمَام واجبٍ ارتبَط بهِ زوْجُهَا. ولا شكّ أنّ صَاحِبَ الوليمَة الذى يُرَحّبُ بالجَميع سَيُرَحّبُ بهمَا مَعاً. إنّ الأمُورَ اللازمَة للمَعيشَةِ كالبيْع والشّرَاء والعِلاقاتِ الأسَريّةِ أمُورٌ مَشْرُوعَة. ولكنْ توقيتهَا مَعَ هؤلاء المُعتذرينَ كانَ غَيْرَ سليم وغَيْرَ حكيم. فوقت الوليمَةِ كانَ وقتَ عَشَاء. ولمْ يكنْ مناسباً لقضَاءِ حَاجَاتٍ اعتدنَا إنجَازَهَا فى وقتِها المُناسِبِ وليْسَ وقتَ العَشَاء. ولا تعليلَ لأعْذارهِمْ إلا أنّهُ استهتارٌ وعَدَمُ مُبالاةٍ. لقدْ استهانوا بمَنْ أعَدّ وليمَة عظيمَة. وأكرَمَهُمْ بأنْ دَعَاهُمْ إلى حُضُورهَا!.[2]

ثالثاً: كانتْ نوْعيّاتُ المَدْعُوّينَ الآخرينَ مُفاجَأة عَجيبَة!.. لقدْ قالَ صَاحِبُ الوَليمَةِ لخَادِمِهِ: "أخْرُجْ عَاجلاً إلى شَوَارع المَدينَةِ وأزقتهَا. وأدْخِلْ إلى هُنَا المَسَاكينَ والجُدْعَ والعُرْجَ والعُمْىَ". مَنْ يُصَدقُ أنّ الوليمَة الفاخِرَة الحَافِلة بالأطْعِمَةِ الشهيّة أصْبَحَتْ لآخرينَ جَاءتهُمْ دَعْوَة إليهَا مَفاجئة غَيْر مُتوقعَة!. لقدْ قالَ صَاحِبُ الوَليمَةِ لخَادِمِهِ: أسْرعْ!. فالوقتُ لا يَحتمِلُ تأخيراً. وكلّ شَىْءٍ قدْ أعِدّ. ولكن!. مَنْ هُمْ المَدْعُوّونَ الآخرون؟!. يَا للعَجَب!. هُم المَسَاكينُ والجُدْعُ والعُرْجُ والعُمْىُ!. وحينَ جَاءَ الخَادِمُ بهمْ وأجلسَهُمْ فى مَقاعِدِهِمْ قالَ لصَاحِبِ الوليمَةِ: "يَا سَيّدُ. قدْ صَارَ كمَا أمَرتَ. ويُوجَدُ أيْضاً مكانٌ". فأجَابَهُ السّيدُ: "أخْرُجْ إلى الطرُق والسّيَاجَاتِ. وألزمْهُمْ بالدُخُول!. حتى يَمتلئَ بيْتِى. لأنّى أقولُ لكمْ: إنّهُ ليْسَ وَاحِدٌ مِنْ أولئكَ الرّجَال المَدْعُوّينَ يَذوقُ عَشَائِى".[3]

منَ العَسير أنْ يُصدّقَ هؤلاءِ الذينَ فى الطرُقاتِ والحَوارى الصّغيرَةِ أنّهُمْ مَدْعُوّونَ لعشَاءٍ عَظيم. فهُمْ يَعرفونَ مَركزَهُمْ ومَكانتهُمْ. كمَا يَعرفونَ مَركزَ الدَاعِى ومَكانتهُ وأنهُمْ غيرَ مُستحقين أنْ يدخلوا قصْرَهُ!. إنّهُمْ ليْسُوا عُظمَاءَ حتى يَدعُوهُم ذلكَ العَظيم. مَنْ هُمْ حتى يَجلسُوا على مَائدتِهِ؟!. كانَ صَاحُبُ الدّعْوَةِ يَعْرفَ ذلكَ. لذلكَ قالَ لخَادِمِهِ: "ألزمْهُمْ بالدُخُول. دَعْهُمْ يُصَدقونَ مَا يَعْسُرُ عليهمْ تصْديقهُ. ليأتوا ويَستمتِعُوا بالنعْمَةِ المَجّانيّة". فمَنْ ذا الذى يَستحق؟!. ولا وَاحِدٌ!. لذا هِى نعْمَة مَجّانيّة. إنّى أتخيلُ البَيْتَ وقدْ امتلأ. ثمّ أغلِقَ البَابُ!. ومِنْ خَارج البَابِ هؤلاء الذينَ استهَانوا بالدّعْوَةِ. يَسْمَعُونَ صَوْتَ آلاتِ طرَبٍ ورقص. وليمَة حَافلة بمَا لذ وطابَ!.[4]

عزيزى القارئ.. قدْ تحَدثكَ نفسُك بالقول: لسْتُ مُستحِقاً. أسألكَ أخِى: مَنْ ذا الذى يَستحِقُ؟!. ولا وَاحِدٌ. كلنَا غَيْرُ مُستحقينَ. ولكنْ الذِى أعَدّ الأفرَاحَ الأبديّة يَدْعُونَا إليْهِ رَغْمَ عَدَم استحَقاقنَا. عَزيزى: إنّ زَمَنَ النعْمَةِ سَوفَ يَمضِى سَريعاً. فاقبلْ الدّعْوَةَ الآنَ. لا تؤجّلْ. ثقْ أنّ الآبَ السّمَاوىّ يُرَحّبُ بكَ كمَا أنتَ. وبى كمَا أنَا. فلا دَاعِى للتباطؤ. إنّ كلمَة الإنجيل تعنِى الأخبَارَ السّارّةَ وها أنَا أسُوقهَا إليكَ: لقدْ جَاءَ إلينَا ابنُ اللهِ مِنَ السّمَاءِ لفدَانَا وجَعَلنَا فى صليبِهِ مُستحقينَ. ولقدْ وَعَدَنَا أنّهُ سيَأتى ثانيَة. وَوقتذاكَ سَيكمُلُ فرْحُنَا مَعَهُ فى الأبديّةِ السّعيدَةِ.[5]

أخِى المَحبوبُ: رُبّمَا وَصلتكَ دَعْوة سَابقة مِنَ الرّبّ المُحِبّ الوَدُود ورُبّمَا أجلتَ تلبيتهَا. فليتك تلبى دعْوَتهُ الموجّهَة إليكَ الآنَ. إنّ بابَ ملكوتِ السّمَواتِ مفتوحٌ على مِصْرَاعَيْهِ للجَميع. ويُوجَدُ لكَ مكانٌ. أدْعُوكَ لنشتركَ معاً فى الصّلاة: أبَانَا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ لدَعوتِكَ لى أنَا غَيْرَ المُستحِق. هَا أنَا آتِى إليكَ فى استحقاق الدَم الكريم. واثقاً أنّ هُنَاكَ مكاناً مُعَداً لِى أنَا الخَاطئ. ليْسَ لبرّ فعلتهُ ولكنْ لمَحبتِكَ العَجيبَةِ التِى جَذبتنِى إلى أحْضَان أبُوّتِكَ.. اقبلْ صَلاتِى ربّى لأنّى أقدّمُهَا فى اسْم فادِيّ ومُخلصِى. مُستنِداً على وَعْدِكَ القائل: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تلكَ الرّسَالةِ أو غيْرهَا ستَجدُ ذلكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] إنجيل يوحنا ١٤: ١ – ٣
[2] إنجيل لوقا ١٤: ٢١
[3] إنجيل لوقا ١٤: ٢٣ – ٢٤
[4] إنجيل لوقا ١٥: ٢١ – ٣٢
[5] رسالة بولس الرسول الثانية إلى كورنثوس ٦: ٢